النوع السادس والستون

فِي أمثالِ القُرْآن

أفرده بالتصنيف الإمام أبو الحسن الماورديّ من كبار أصحابنا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأخرج البيهقيّ [في «الشعب»: ٢٢٩٣] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ القرآن نزل على خمسةِ أوجهٍ: حلال، وحرام، ومحكَم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتَّبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال**».

قال الماورديّ: من أعظم علْم القرآن علم أمثالِه، والنَّاس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثَّلات، والمثل بلا ممثَّل كالفرس بلا لجام، والناقة بلا زمام.

وقال غيره: قد عدّه الشافعي ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدّوالّ على طاعته، المبيّنة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثالَ في القرآن، تذكيراً ووعظاً، فما اشتمل منها على تفاوت في ثوابٍ، أو على إحباطِ عملٍ، أو على مدحٍ أو ذمٍّ أو نحوهِ، فإنَّه يدلُّ على الأحكام.

وقال غيره: ضَربُ الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحثّ، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإنَّ الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواسّ، ومن ثَمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ، والغائب بالشاهد.

وتأتي أمثال القرآن مشتملةً على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذمّ، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]. فامتنّ علينا بذلك لما تضمنتْه من الفوائد.

وقال الزركشيّ في «**البرهان**»[(١)]: ومن حكمته تعليم البيان؛ وهو من خصائص هذه الشريعة.

وقال الزمخشريّ: التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهَّم من الشاهد، فإن كان المتمثَّل له عظيماً كان المتمثَّل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثّل به كذلك.

وقال الأصبهانيّ: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأنٌ ليس بالخفيّ في إبراز

---

(١) «البرهان» ٢/ ١١٨ النوع ٣١.

خفيّات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيّل في صورة المتحقَّق، والمتوهَّم في معرض المتيقَّنِ، والغائب كأنه مشاهد. وفي ضرب الأمثال تبْكِيتٌ للخَصْم الشديد الخصومة، وقمع لسَوْرة الجامح الأبيّ؛ فإنه يؤثِّر في القلوب ما لا يؤثِّر وصف الشيء في نفسه؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبهِ الأمثالَ، ومن سور الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال، وفشت في كلام النبيّ ﷺ، وكلام الأنبياء والحكماء.

فصل: أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرّح به، وكامِنٌ لا ذكرَ للمثل فيه.

فمن أمثلة الأوّل: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا . . .﴾ الآيات [البقرة: ١٧ ـ ٢٠]؛ ضرَب فيها للمنافقين مَثَلَيْن: مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر.

أخرج ابن أبي حاتم[١] وغيره من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا يعتزّون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيءَ، فلمّا ماتُوا سلبَهم الله العزَّ كما سلب صاحب النار ضوءَه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ يقول في عذاب. ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ وهو المطر، ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ يقول: ابْتِلَاء ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ تَخْويف ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يقول: يكاد محكم القرآن يدلّ على عورات المنافقين ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩، ٢٠]. يقول: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عِزًّا اطمأنّوا، فإن أصاب الإسلامَ نكبةٌ قاموا، ليرجعوا إلى الكفر، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الآية [الحج: ١١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا . . .﴾ الآية [الرعد: ١٧]. أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله، احتَملت منه القلوب على قدر يقينها وشكلها. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾، وهو الشك، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، وهو اليقين، كما يجعل الحلْي في النار، فيؤخذ خالصه، ويُترك خَبَثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشكّ.

وأخرج عن عطاء قال: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

وأخرج عن قتادة قال: هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثلٍ واحد، يقول: كما اضمحلّ هذا الزَّبد فصار جُفاء لا يُنتفع به، ولا تُرجى بركته، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله. وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت وربَّتْ بركتُه، وأخرجت نباتها، وكذلك الذهب والفضة حين أُدخل النار، فأُذهب خبثُه، كذلك يبقى الحقّ لأهله. وكما اضمحلّ خبَث هذا الذهب والفضة حين أُدخِل في النار، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ . . .﴾ الآية [الأعراف: ٥٨]. أخرج ابن أبي حاتم[٢] من

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٥٠ رقم (١٥٨) سورة البقرة: ١٧.

(٢) «في تفسيره» ٥/ ١٥٠٣ رقم (٨٦١٥) و(٨٦١٩) سورة الأعراف: ٥٨.

طريق عليّ عن ابن عباس قال: هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن، يقول: هو طيب وعمله طيب؛ كما أن البلد الطيّب ثمرها طيّب، والذي خبث ضُرِب مثلاً للكافر، كالبلد السبخة المالحة، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ . . .﴾ الآية، [البقرة: ٢٦٦]. أخرج البخاريّ [٤٥٣٨] عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبيّ ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيءٌ، فقال: يا ابن أخي قل ولا تحقِرْ نفسَك، قال ابنُ عباس: ضُرِبَتْ مثلاً لعملٍ، قال عمر: أيّ عملٍ؟ قال ابن عباس: لرجلٍ غنيّ عمِل بطاعة الله، ثمّ بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرَقَ أعمالَه.

وأما الكامنة: فقال الماورديّ: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألتُ الحسينَ بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن؛ فهل تجد في كتاب الله: (خير الأمور أوساطها)؟ قال: نعم، في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

قلت: فهل تجد في كتاب الله (مَنْ جهل شيئاً عاداه)؟ قال: نعم، في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قلت: فهل تجد في كتاب الله: (احذَرْ شرَّ من أحسنتَ إليه)؟ قال: نعم: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].

قلت: فهل تجد في كتاب الله (ليس الخبرُ كالعَيان)؟ قال: في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

قلت: فهل تجد: (في الحركات البركات)؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

قلت: فهل تجد: (كما تَدين تُدان)؟ قال: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: (حين تَقْلي تدري)؟ قال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢].

قلت: فهل تجد فيه: «**لا يُلدَغ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين**»؟ [البخاري: ٦١٣٣، ومسلم: ٧٤٩٨، وأحمد: ٨٩٢٨]. قال: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ . . .﴾ [يوسف: ٦٤].

قلت: فهل تجد فيه: (من أعان ظالماً سُلِّط عليه)؟ قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

قلت: فهل تجد فيه قولهم: (لا تَلِدُ الحيّةُ إلَّا حيَّةً)؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح: ٢٧].

قلت: فهل تجد فيه: (للحيطان آذان)؟ قال: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٤٧].

قلت: فهل تجد فيه: (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً. والحرام لا يأتيك إلا جُزافاً)؟ قال: ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

فائدة: عقد جعفر بن شمس الخلافة في كتاب الآداب باباً في ألفاظ من القرآن، جارية مجرى المثل، وهذا هو النوع البديعي المسمّى بإرسال المثل، وأورد من ذلك قوله تعالى:

﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، ﴿لَن نَّنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ﴾ [يس: ٧٨]، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: ٨١]، ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ﴾ [الأنعام: ٦٧]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [المائدة: ٩٩]، ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [يونس: ٩١]، ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾ [الحشر: ١٤]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرِۭ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٣]، ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]، ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١]، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، ﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۖ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]. في ألفاظ أُخر.